
 عن أفق تردّدات الكاتب

دراسة في جينية نصّ: "حضرة الجنرال" لكamal قزور

د. حبيبة العلوي

جامعة الجزائر 2

تقديم:

سيعدّ من المفارقات العلميّة البليغة أن يظهر منهج نقدي يهتم بمسوّدات الأعمال الأدبيّة، في عصر ستهيمن عليه البنيويّة العلميّة الصارمة، التي تقول بضرورة دراسة النصّ في نظامه الداخلي دون مراعاة لظرف تكوينه الخارجي.

غير أن النقد الجيني سيستمد مشروعيتّه من مصدر علمي وآخر فني وثقافي؛ فأما العلمي فسيزوّد الدرس الجيني بآليات بنويّة لدراسة ملقّات جينيّة للنصوص؛ ستعتبر كبنى تطوريّة لنظام نهائي واحد، وأما الثقافي فسيمدّه بتراث مادّي سيوصي به أدياء مخصوصون مؤمنون بضرورة توريث مخطوطاتهم ومسوّدات أعمالهم، التي سيمنحوها كمادة أثيرة تجرى عليها دراسات تشريحيّة جريئة، وفي هذا طبعاً جرأة أدبية كبيرة من حيث أنّ العمليّة الأدبيّة كان ينظر إليها ولعهود طويلة على أنّها هبة إبداعية لا تتمّ إلاّ على خصوصيّة خلقيّة في الكاتب، خصوصيّة لا يمكن أن تفضح أو تستباح بدراسة علميّة تتبذلها وتجعلها متاحة ممكنة المقاربة!

إنّ جرأة أسماء بعينها ستزفع الهالة والقداسة عن العمل الأدبي لتجعله مادة غير مُلهمة وإنما مادة مصنّعة، وفق ميكانيزمات وآليات خاصّة قابلة للدراسة.

إن هذا التوافق والتعاقد العلمي بين منهج نقدي سيركز على النصّ كنظام وبنية مغلقة، وبين منهج مغاير . وكان يمكن أن يكون مقابلاً . يركّز على النصّ كنظام وبنية مفتوحة مركّبة ومتطوّرة، يستحق حقيقة الدرس والتأريخ، وإن كان لا يسعنا المقام في هذه المداخلة أن نفضله فمن الطريف دوماً أن نشير إلى ذلك؛ لأنّ ما سيميّز هذا النقد الجديد الذي سيسمّى نقدًا جينيًا هو هذا التزاوج والتلاقح بين مبادئ تبدو في الوهلة الأولى متناقضة؛ فمن الجرأة الكبيرة أن تعيد فتح حدود النصّ التي شتمتها البنيوية، لتستفيد بمادّة أوليّة شكّلت في الواقع النسخة البدئية غير المتطوّرة للنصّ، إنّنا بذلك نستدعي مبدأ حارثته بشراسة مبادئ البنيوية التي نادت إلى دراسة المادة اللغويّة في آنيّتها..

غير أن الجينيّة يبدو، اعتبرت أنّ البنية التطوريّة للنصّ تنتمي في النهاية لبنيتها المغلقة والنهائيّة وأنّه لا يمكننا بأيّ حال قراءة هذه البنية التي قالت البنيوية بانغلاقها إلا في انفتاحاتها المحدودة بمجال جيني تحكّمه محاولات الكاتب المريرة ارتباكات المضمينة تردّداته المقيّنة.. في سبيل الانتهاء إلى شكل نهائي يرتضيه نصّ مفترض..

هذه الآليّة العسيرة، هذا البناء المركّب، المؤقت، المشطّب، المعدّل، المنقّح، المعاد، المرتبك، المفتوح غير النهائي... هو ما يهّمنا الساعة في مقارنتنا لنصّ كمال قرور "حضرة الجنرال" يهّمنا إذن اكتشاف الآليّة المتحكّمة في الظهور النهائي الموقع (Signé) والمطبوع للنصّ..

إنّها لعبة غير هيّبة ومخاطرة ومغامرة تتجرّأ على نصّ لظالمنا أوهمنا بغرابة وغرائيّة الخلق.. هذه الغرائيّة وهذا الغموض الذي لن تفكّ عليه السوداء إلا في حال واحدة.. عندما يقرّر الكاتب أن يسلمّ علب خلقه السوداء ليد الباحث ... وهذا ما تجرّأ عليه في الواقع "كمال قرور"، عندما استأمننا على مخطوطات نصّه الأخير، وهو في ذلك يُقدم على مبادرة جسورة لم يسبقه إليها في الفضاء الأدبي الجزائري أحد*.. وعلى خلاف ذلك نجد أنّ آباء الرواية الفرنسيّة هم من فتحوا الباب لمثل هذه الدراسات على غرار ما أقدم عليه "هييغو"

* لقد حاولنا الاستئناس برأي "أنيس بن هدوقة" مثلاً ابن الراحل عبد الحميد بن هدوقة حول فرضيّة إهداء هذا الأخير لمخطوطاته أو مسوداته للمكتبة الوطنية أو أي جهة وطنيّة ونفى ذلك.

عندما وصّي بكلّ مخطوطاته ومسودّاته للمكتبة الوطنيّة بباريس، وفلويير الذي تمّنى أن " تعيش مسودّاته أكثر منه"¹.

لقد سلّمنا كمال قرور ثلاثة مخطوطات إلكترونيّة لنصّه الروائي "حضرة الجنرال"؛ معنى هذا أننا سنتعامل مع مخطوطات إلكترونيّة لا ورقية وهذا في حدّ ذاته تحدي جديد يطرح على هذا النهج النقدي الذي اقتحم عالم دراسة المخطوطات والمسودّات في زمن تتراجع في الكتابة الورقية التقليديّة لصالح تقاليد كتابة جديدة مرتبطة بالعالم الرقمي، الذي يبدو وكأنه لا ذاكرة له ولا يحرص في الواقع على حفظ مسودّاته، حتى أنّ عمليّة الكتابة الإلكترونيّة تتمّ بشكل يحذف لا يشطب العبارات المصحّحة على سبيل المثال .. ومعنى هذا أنّ حظوظ العثور أو التعرّف عن قرب على ارتباكات الكاتب وتردّداته تتقلّص عملياً مع انحسار عصر الكتابة الورقيّة، ومعنى هذا أنه علينا أيضاً أن نعدّ احتفاظ "كمال قرور" بمخطوطاته الثلاثة من قبيل الممارسات التي لنا فيها وافر الحظ، من حيث أنه كان يمكن جدّاً أن يعدمها بما أنّ فعل إتلاف المخطوطات أو لنقل الملفات الجينيّة لنصّ ما لا تلزمها إلكترونياً إلاّ نكرة

أثر عن هيوغو :
" أهب كلّ مخطوطاتي، وكلّ ما يمكن أن يعثر عليه مكتوباً أو مرسوماً من قبلي، للمكتبة الوطنيّة بباريس، التي ستصبح يوماً ما مكتبة الولايات المتحدّة الأوربيّة"

وعن فلويير في رسالة إلى اللويز كولي:

"يا ليت مسودّاتي تعيش أكثر منّي هذا كلّ ما أتمناه"!!

ينظر مقالنا:

حبيبة العلوي، "عن النقد الجيني وأفاق التعامل مع المخطوطات والمسودّات الأدبيّة بالعالم العربي" مجلة بحوث سيميائيّة؛ مجلة علميّة محكّمة، تصدر عن مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربيّة، الجزائر: العددان 6/5، ماي، 2009، ص 321 -

324.

أو نقرتين، في حين تبدو هذه العملية نفسها معقدة نسبيًا على المستوى الورقي؛ إذ يلزمنا على الأقل أن نتمتع بوسائل مادية مُعينة كعود ثقاب أو سلة مهملات.. أو بحر لجي يتلعب كل ما خلفناه من خريشات وهو اجس..!!

يمكننا جدًا إذ أن نتعامل ومخطوطات "كمال قرور" كهبة جدّ ثمينة إذا، وآيلة للانقراض..

لقد اخترنا لغرض إجرائي أن نرصد البنية الجينية لبنيتين سرديتين "بنية العنوان" التي تنخرط فيما يسميه "جيرار جونيت" النص الموازي أو النص المصاحب (Paratexte) وبنية النهاية التي قد توازيها من حيث الأثر على القارئ وأفق انتظارها لديه..

سنستند في مقارنة هذين البنيتين على ثلاث آليات أساس من آليات النقد الجيني وهي:

1. مرحلة التأريخ (La Chronologie génétique).

2. مرحلة التمحيص (Déchiffrement).

3. مرحلة قراءة وتأويل الوثائق (L'interprétation des documents) ...¹

وإن كنا سنركز على آلية التأريخ؛ أي ترتيب مواد المقتنيات الجينية حسب تاريخ كتابتها المحتمل والتقريبي أو الدقيق، ومن ثم محاولة قراءة وتأويل تطوّر البناء الجيني للبنية السردية محلّ الدرس، اعتماد على معطيات تمحيصية أولية فاحصة ومقارنة لهذا التطوّر.

I. جدل البدايات.. بروفات البداية:

سنحاول أن نلخص عملية التأريخ في الجدول والمخططة الآتية:

العنوان	التأريخ	الملاحظة
1. حضرة الجنرال ذياب	∅	البروفة الأولى للرواية

¹ المرجع نفسه، 328 - 331.

<p>بشهادة الروائي</p>		<p>الزغبي يصبح ديكتاتوراً</p>
<p><u>نسخة تجريبية</u> 2015 عبارة مكتوبة في متن المسودة: الوثيقة رقم 2</p>	<p>كتبت بين 2014/2012: نقحت يومي 02/01: جانفي 2015</p>	<p>2. الجنرال التخرية الرسمية لحضرة الجنرال ذياب الزغبي كما رواها الروائي غارسيا ماركيز</p>
<p>البروفة الثالثة للرواية بشهادة الروائي</p>	<p>Ø</p>	<p>3. التخرية السيرة العطرة لحضرة الجنرال ذياب الزغبي</p>
<p><u>نسخة أصلية</u> <u>تجريبية 2015 بعد</u> <u>التنقيح</u> <u>2015/02/10</u> عبارة مكتوبة في متن المسودة: الوثيقة رقم 4</p>	<p>كتبت بين 2014/2012: نقحت يومي 02/01: جانفي 2015</p>	<p>4. تخرية حضرة الجنرال السيرة الرسمية لحضرة الجنرال ذياب الزغبي كما رواها الروائي غابريال غارسيا ماركيز</p>

<p>الطبعة الأولى: أكتوبر 2015.</p>	<p>كتبت بين: 2014/2012 نقحت بين 01 جانفي/30 جويلية 2015.</p>	<p>5. "تعبت من الحروب و تعبت الحروب مني" حضرة الجنرال التخريبية الرسمية للواء المفدى ذياب الزغبي كما رواها غارسيا ماركيز</p>
--	--	--

واضح مدى استعصاء مفردة "الجنرال" و"ذياب الزغبي" على نموذج عنوان الرواية (**Paradigme du titre**)؛ فمفردة "جنرال" و اسم العلم "ذياب الزغبي" هي المفردة التي تتواتر على كلّ تقلّبات العنوان الخمسة من صيغته 1 إلى صيغته النهائية 5، تليها مباشرة مفردة "التخريبية"، بأربعة تواترات من أصل خمسة 4/5 (تواتر من أصل أربعة ورد بصيغة منكرة: تخريبية)، ف "الرسمية" واسم العلم ماركيز بثلاثة تواترات من أصل خمسة 3/5.

يمكننا أن نقرأ هذه الترددات الاستبدالية (من حيث هي قائمة على المحور الاستبدال للتعنوان، حسب مصطلحية سوسير) على أنّها تحيل بشكل رمزي أو تؤشّر بشكل مباشر. بما أن للتعنوان عادة قيمة حرفية وأخرى مجازية تندرج ضمن وظيفته الوصفية حسب ما فصله جيرار جونيت¹. إلى أبرز ما يمكن أن يتداول من قيم وتيمات في الرواية، أو هذا على الأقل ما يوهوم به هذا العنوان من حيث وظائفه القارّة والمحمّلة والمقدّرة في ذهن القارئ استنادًا إلى تواضعات سابقة عن نصّ "كمال قرور" حاضرة في ما سبقه من إرث روائي، ومعنى هذا أيضا

¹ ينظر؛

Vincent Jouve, la poésie du roman, 1997 ; p. 12-16.

أنّ كمال قرور قد لعب بأكثر من احتمال بـ نموذج العنواني ليضع عنوانا مركباً (تركيب Syntagme)

معقداً ينطلق من جملة: "حضرة الجنرال ذياب الزغبي يصبح دكتاتوراً" (البروفة رقم 1)، لينتهي إلى خطاب:

"تعبت من الحروب و تعبت الحروب مني"

حضرة الجنرال

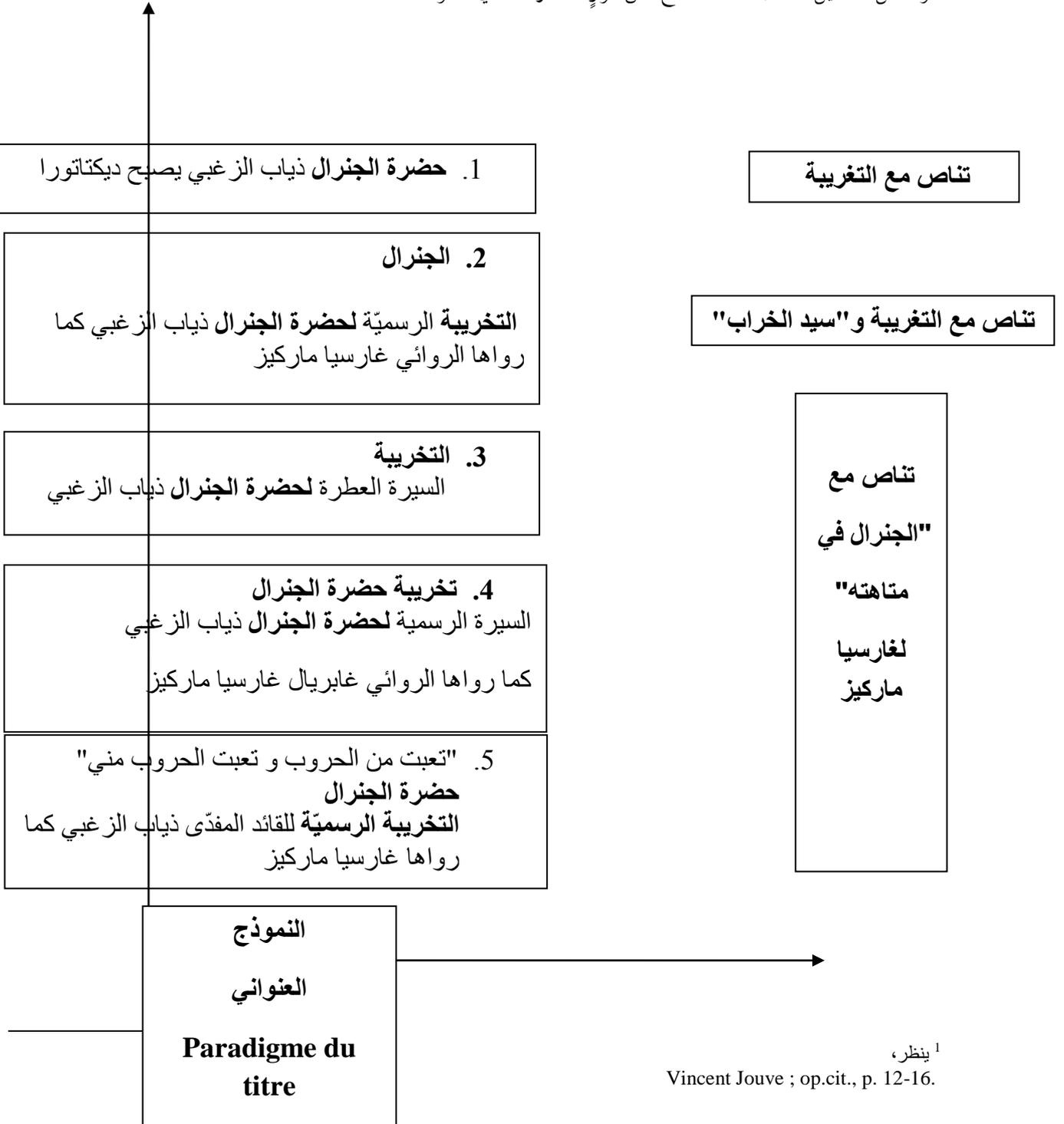
التخرية الرسمية للقائد المفدى ذياب الزغبي كما رواها غارسيا ماركيز

وهو من حيث المبنى الاستبدالي قد حافظ على ثبوت المعارف التالية "الجنرال" النكرة المعرفة بـ "ال"، والعلم "ذياب الزغبي" تليه "التخرية"؛ المفردة التي تستدعي تناصاً وسيرة العلم "ذياب الزغبي" بطل "تغرية بني هلال"، بالإضافة إلى استدعائها لعنوان نص سابق لكمال قرور "سيد الخراب"¹؛ مستدة في ذلك إلى تحت لمفردتي (تغرية + خراب)، إلى الصفة "الرسمية"؛ التي فيها سند تركيبى لمفردة "جنرال" التي تحيط وتنسج بل وتعلن عن متعالية نصية بتعبير "جيرار جونيت"، يستند فيها هذا العنوان إلى نصّ موازي بل نصّ بعدي (épitexte)، يجعل من تخيين رواية كمال قرور ووضعها ضمن سياقها البراغماتي؛ الذي تشهد فيه الجزائر وضعاً سياسياً تحكمه أحاديث الجنرالات المتطاحنة وكأنه أمر ضروري وملح للدرس...

إنها سيرة رسمية حتى وهي تتناص مع مروية شعبية لها مالها من نصيب خرافي، كمال قرور ينهنا باستطراداته واستدراكاته واستطالاته العنواينة أتما تخرية تحمل وسم الرسمية لجنرال يعلن وسم دكتاتوريته* بعد انزاله عن الحرب، فهي تخرية رسمية. حتى وإن رويت على لسان روائي يفترض فيه صناعة نصّ يحتمل الصدق والكذب. لأجل هذا إذن تبدو تواترات المفردات المشكلة للمتن العنوايني دالة ومؤشرة جداً فهي لا تعلن فقط عن ارتباكات الكاتب، وإنما تفضح حتى يقينه الثابت من الصيغة 1 للعنوان إلى الصيغة 5، الصيغة 5 التي توجت مساراً عنواينياً اشتغل على مزيد من التفصيل والانفضاح والوضوح المطرد.

¹حضرة الجنرال ذياب الزغبي يصبح ديكاتوراً، الوثيقة
* والملاحظ أنّ هذه العبارة ستعوض لاحقاً بعبارة "كما رواها الروائي غارسيا ماركيز" الوثيقة 2، وبـ "كما رواها الروائي غابريال غارسيا ماركيز الوثيقة 4، وبـ Ø الوثيقة 3، وبـ "كما رواها غارسيا ماركيز" وثيقة 5؛ في تلميح لحضور الدكتاتور الذي خصص غارسيا ماركيز لنهايته رواية "الجنرال في ماتهته" (1989).

"كمال قرور" هنا يفصل ما يفترض أن يأتي مختصرا موجزا يلمح أكثر ما يفضح، فهل في هذا استغناء للقارئ أم استفزاز له؟! قد يجيبنا تفصيل جونيت لوظائف العنوان، التي صنف فيها نمطاً إغرائياً يقوم في الأساس على طول العناوين المستفز¹.. هنا كمال قرور بصوغ عنوانا طويلا ومستطرذا بل ومستفزز الطول، كان يمكن أن يختصر في جملة الصيغة الأولى أو في التركيب البسيط: "حضرة جنرال"، غير أنّ كمال قرور أراد أن يحكي ويفصل في عنوانه كلّ تفاصيل الحكاية، المتعاقبة مع نصّ موازٍ حاضر جدّا في العنوان....!



II . جدل النهايات .. بروفات النهاية:

وفي هذه الخطاظة نحاول الإحاطة بالتطوّر الكرونولوجي لبنية النهاية، حسب المستندات الجيتية المقدّمة من قروور:

الملاحظة	التاريخ	النهاية
البروفة الأولى للرواية. بشهادة الروائي	∅	∅ .1
نسخة تجريبية 2015 عبارة مكتوبة في متن المسودة: الوثيقة رقم 2	كتبت بين: 2014/2012 نقحت يومي: 02/01 جانفي 2015	2. "قلت: الآن لاينافسي في الحسب والنسب الا الجازية بنت سرحان، والجازية لا أراها هنا بين هذه الجموع المتأهبة للحرب والمتعطشة للانتقام قد تكون في بيتها الآن تسرح شعرها أوتعتني بأنوثتها كما تفعل بقية النساء. قال الفارس وهو ينزع لثامه ويكشف عن وجه جميل فاتن هو وجه الجازية نفسها: أنا الجازية بنت سرحان يا جنرال ذياب. أخت حسن وزوجة أبي زيد. وهؤلاء اليتامى، أبناء الشهداء والمجاهدين والوطنيين والمواطنين الذين قتلت آباءهم ويتمتهم، وسلبت منهم حاضرهم ومستقبلهم. جئنا لنثار منك

		<p>ونزحك عن كرسي الحكم. لم أصدق أنها الجازية... تصنعت الضحك وقلت لها: أنا لن أقاتلك يا جازية.. أكراما لوالدك سرحان وأخيك حسن وزوجك أبي زيد. اذا قاتلتك لا بد أن أقتلك، وهذا عار. وساعتها يسخر مني الناس. دعيني أقاتل هؤلاء اليتامى الفرسان. فاما أقتلهم أو يقتلوني، وأكون حققت هدفين مت على أيديهم وليس على يد الامبريالية المتريضة، ومكنتهم من الانتقام لابائهم الذين قتلهم وازهقت ارواحهم بسبب أوبغير سبب. قالت الجازية متحدية، وهي غير آبه بتهديدي ووعيدي: لن أذهب، يا حضرة الجنرال ذياب، حتى أقتلك أو تقتلني كما قتلت غدرا، زعماء "الامبراطورية" حسن وأبي زيد وغيرهم. ويتمت أبناءهم. ولكن لست خائفة منك فان قتلتني، فذاك أجلي. ولكن ثق أن نهايتك ستكون</p>
--	--	--

		<p>على أيدي هؤلاء اليتامى الفرسان اليافعين، لقد تلقوا أحسن التدريب على الطعن. منذ سنوات وهم يتربصون بك وبجيشك المرتزق، وهاهي فرصتهم تحين، ودون شك هي نهاية أسطورتك ونهاية أسطورة جيشك، ونهاية "أمراطهوريتك" الورقية والوهمية ونهاية عهداث ظلمك وطغيانك وجبروتك. وبداية عصر جديد. لأجيال جديدة.. تستحق أن تعيش حياتها كما تريد وليس كما يفرض عليها.</p>
<p>البروفة الثالثة للرواية. بشهادة الروائي</p>	<p>Ø</p>	<p>Ø.3</p>
<p>نسخة أصلية تجريبية 2015 بعد التنقيح 2015/02/10 عبارة مكتوبة في متن المسودة: الوثيقة رقم 4</p>	<p>كتبت بين: 2014/2012 نقحت يومي: 02/01 جانفي 2015</p>	<p>4. الآن لا ينافسني في الحسب والنسب إلا الجازية بنت سرحان، والجازية لا أراها هنا بين هؤلاء الفرسان المتأهين للحرب والمتعطشين للاتقام قد تكون في بيتها الآن تسرح شعرها الطويل أو "تحرقس" حواجبها وتعتني بأنوثتها التي مازالت تتحدى الكبر.</p>

قال الفارس وقد فاجأني، وهو ينزع
لثامه ويكشف عن وجه جميل مألوف
هو وجه الجازية نفسها:

أنا الجازية بنت سرحان يا جنرال
ذياب. أخت حسن وزوجة أبي
زيد. وهؤلاء اليتامى، أبناء الشهداء
والمجاهدين والوطنيين والمواطنين
الأحرار، الذين قتلت آباءهم
ويتمتعهم، وسلبت منهم حاضرهم
ومستقبلهم. جئنا لنثار منك ونزجك عن
كرسي الحكم.

ياه... يا اللقدر.. لم أصدق أنها
الجازية...

تصنعت الضحك لدرء ارتباك
وانزعاجي. ثم قلت لها وقد تذكرت
تهديدها ووعيدها بأني سأموت وحيدا
ذليلا.

أنا لن أقاتلك يا الجازية.. أكراما
لوالدك سرحان وأخيك حسن وزوجك
أبي زيد. اذاقاتلتك لا بد أن أقتلك، وهذا
عار. وساعتها يسخر مني الناس. دعيني

أقاتل هؤلاء اليتامى الفرسان.فإما أن
أقتلهم أو يقتلوني،وأكون حققت هدفين
نبيلين:مت على أيديهم وليس على يد
الامبريالية المتربصة،ومكنتهم من
الانتقام لآبائهم الذين قتلتهم وأزهقت
أرواحهم بسبب أو بغير سبب.

قالت الجازية متحدية،وهي غير آبه
بتهديدي ووعيدي:

لن أذهب،ياحضرة الجنرال
ذياب،حتى أقتلك أو تقتلني كما قتلت
غدرًا،زعماء"الامبراطورية"حسن وأبي
زيد وغيرهم.ويتمت أبناءهم.ولكن
لست خائفة منك فإن قتلتني،فذاك
أجلي.ولكن ثق أن نهايتك ستكون
على أيدي هؤلاء اليتامى الفرسان
اليافعين،لقد تلقوا أحسن التدريب على
الطعن.منذ سنوات وهم يتربصون بك
وبجيشك المرتزق،وهاهي فرصتهم
تحين،ودون شك هي نهاية
أسطورتك،ونهاية"أمراطوريتك"الورقية
الوهمية ونهاية عهدات ظلمك وطغيانك

		<p>وجبروتك. وبداية عصر جديد. لأجيال جديدة.. تستحق أن تعيش حياتها كما تريد وليس كما يفرض عليها.</p> <p>"أيها الفرسان اليتامى الأطهار الأبرار.. الجنرال ذياب جبار وغدار، وحتى وهو في أرذل العمر، لا يؤتمن، اصطفوا كما علمتكم ودرتكم، صفا واحدا، واطعنوه طعنة فارس واحد، طعنة بجلاء ازهقوا روحه، وتخلصوا من شره وطغيانه. لتضمنوا مستقبلكم، والقتلكم واحدا واحدا".</p> <p>آه.. يا الجازية.. يا خبيثي.. الآن فقط أتفهم معاناة سيويه عاشق النحو، وهو على فراش الموت وهمي "حتى" تحتاح جسمه وتصل إلى حلقه.</p> <p>تحسست مسدسي الملقم بالرصاصة الوحيدة، التي إدخرتها لوقت الشدة. هدية "أفوقاي" التي رفضت استعمالها طيلة حياتي، وفاء للسيف الذي صنع مجدي، وأعلى مقامي، ومكنني من الأعداء ثم المنافسين، ثم الخونة، المشاغبين</p>
--	--	---

		<p>المتمردين.</p> <p>ولكني لم أكن أعرف أنني سأستعمله ضد قناعتي وضد من أحب. وضد الجازية حبيتي.</p> <p>قالت: أخيراً يعجز حرفك عن حمل سيفك، وتلجأ إلى البارود الذي رفضت استعماله طيلة حياتك، وتسببت في تأخر شعبك قرناً كاملاً. ارضاء لآنانيتك ونزواتك، يمكنك أن تطلق رصاصتك الأولى والأخيرة على الجازية، على حبك الكاذب المتوهم. أنت تحب نفسك و لا تحبني يا ذياب. مادمت جينت، ولم تطلقها على رأسك. كما يفعل الديكتاتوريون الشجعان، ومادمت غير قادر على قتل كل هؤلاء اليتامى المدججين بالأسلحة الأتوماتيكية والرشاشة الفتاكة، ولكنهم سيقتلونك بسلاحك.</p> <p>في لحظة غضب وعجز وجبن أطلقت الرصاصة، على رأس الجازية.. حبيتي.. فسقطت على الأرض مضرجة بدمها، ودفعت الكرسي المتحرك</p>
--	--	--

		<p>نحوها، لأحضنها وأبكيها وأندبها. وكانت سيوف اليتامى الأبطال، مصوبة نحوي تخترق جسدي. وهم يصرخون بصوت واحد:</p> <p>أيها الجنرال العنيد: ارحل ارحل ارحل..</p> <p>اكتب ياما كيز العزيز.. اكتب..</p> <p>ما أروع الموت، في حضن الجازية، بسيوف هؤلاء اليتامى الفرسان الثوارجية.</p> <p>يالها من تخريبية ..</p>
<p>الطبعة الأولى: أكتوبر 2015</p>	<p>كتبت بين: 2012 / 2014 نقحت بين 1 جانفي / 30 جولية 2015.</p>	<p>5. الآن لا ينافسني في الحسب والنسب إلا الجازية بنت سرحان، والجازية لا أراها هنا بين هؤلاء الفرسان المتأهبين للحرب والمتعطشين للانتقام قد تكون في بيتها الآن تسرح شعرها الطويل أو "تحرقس" حواجبها وتعتني ببقايا بأنوثتها التي مازالت تتحدى الكبر.</p> <p>فاجأني الفارس، وهو ينزع لثامه ويكشف عن وجه صبح خفق قلبي و</p>

		<p>أجهش، وهي تقول:</p> <p>أنا الجازية بنت سرحان ياجنرال ذياب.أخت حسن وزوجة أبي زيد.وهؤلاء اليتامى،أبناء الشهداء والمجاهدين والوطنيين والمواطنين الأحرار،الذين قتلت آباءهم ويتمتعهم،وسلبت منهم حاضرهم ومستقبلهم.جئنا لنثار منك ونزحك عن كرسي الحكم.</p> <p>ياه...ياللقدر..لم أصدق أنها هي...</p> <p>تصنعت الضحك لدرء ارتباكي وانزعاجي.ثم قلت لهاوقدتذكرت تهديدها ووعيدها بأني سأموت وحيدا ذليلا.</p> <p>. لن أقاتلك ياالجازية..أكراما لوالدك سرحان وأخيك حسن وزوجك أبي زيد صديق الحروب والغزوات.اذا قاتلتك لابد أن أقتلك،وهذا عار.وساعتها يسخر مني الناس.دعيني أقاتل هؤلاء اليتامى الفرسان.فإما أن أقتلهم أو</p>
--	--	---

		<p>يقتلونني، وأكون حققت هدفين نييلين: مت على أيديهم وليس على يد الامبريالية المتربصة، ومكنتهم من الانتقام لآبائهم الذين قتلتهم وأزهقت أرواحهم بسبب أو بغير سبب. قالت الجازية متحدية، وهي غير آبه بتهديدي ووعيدي:</p> <p>لن أذهب، يا حضرة الجنرال ذياب، حتى أقتلك أو تقتلني كما قتلت غدرًا، زعماء "الامبراطورية" حسن وأبي زيد وغيرهم. ويتمت أبناءهم. ولكن لست خائفة منك فإن قتلتي، فذاك أجلي. ولكن ثق أن نهايتك ستكون على أيدي هؤلاء اليتامى الفرسان اليافعين المؤمنين بقضيتهم العادلة . لقد تلقوا أحسن التدريب على الطعن. منذ سنوات وهم يتربصون بك وبجيشك المرتزق، وهاهي فرصتهم تحين، ودون شك هي نهاية أسطورتك، ونهاية "أمراطوريتك" الورقية الوهمية ونهاية عهديات ظلمك وطغيانك</p>
--	--	---

وجبروتك. وبداية عصر جديد. لأجيال
جديدة.. تستحق أن تعيش حياتها كما
تريد وليس كما يفرض عليها.
"أيها الفرسان اليتامى الأطهار
الأبرار.. الجنرال ذياب جبار
وغدار، وحتى وهو في أرذل
العمر، لا يؤتمن، اصطفوا كما علمتكم
ودريتكم، صفا واحدا، واطعنوه طعنة
فارس واحد، طعنة نجلاء ازهقوا
روحه، وتخلصوا من شره
وطغيانه. لتضمنوا مستقبلكم، والا
قتلكم واحدا واحدا".

آه.. يا الجزائرية.. يا حبيبي.. أنت
"حتاي" .. الآن فقط أتفهم معاناة
سيبويه عاشق النحو، وهو على فراش
الموت وحى "حتى" تحتاج جسمه وتصل
إلى حلقه.

تحسست مسدسي الملقم بالرصاص
الوحيدة، التي إدخرتها لوقت الشدة. هدية
"أفوقاي" التي رفضت استعمالها طيلة
حياتي، وفاء للسيف الذي صنع

مجدي، وأعلى مقامي، ومكنني من
الأعداء و المنافسين، و الخونة،
والمشاغبين والمتمردين.

ولكني لم أكن أعرف أي سأستعمله
ضد قناعتني وضد من أحب. وضد
الجازية حبيتي.

قالت:

. أخيرا، يعجز خرفك عن حمل
سيفك، وتلجأ إلى البارود الذي رفضت
استعماله طيلة حياتك، وتسببت في
تأخر شعبك قرنا كاملا. ارضاء لانانيتك
ونزواتك، يمكنك أن تطلق رصاصتك
الأولى والأخيرة على الجازية، على حبك
الكاذب المتهم. أنت تحب نفسك و لا
تحبني يا ذياب. مادمت جنت، ولم تطلقها
على رأسك. كما يفعل الديكتاتوريون
الشجعان، ومادمت غير قادر على قتل
كل هؤلاء اليتامى المدججين بالأسلحة
الأتوماتيكية والرشاشة الفتاكة، ولكنهم
سيقتلونك بسلاحك.

في لحظة غضب وعجز وجبن

أطلقت الرصاصة، على رأس
الجازية.. حبيبي.. ولم أدر كيف أطلقتها
بتلك البرودة والوحشية، فسقطت على
الأرض مضرجة بدمها، ودفعت الكرسي
المتحرك نحوها، لأحضنها وأبكيها
وأندبها، وبينما انسحب جيشي وولّى
الأدبار،. كانت سيوف اليتامى
"الثوارجية" الأبطال مصوبة نحو مثل
سيف واحد تخرق جسدي. وهم
يصرخون بصوت واحد رددت صده
الآفاق:

أيها الجنرال العنيد: ارحل ارحل
ارحل..!

اكتب يا ماركيز العزيز.. اكتب..!
ما أروع الموت، في حضن الجازية،
بسيوف هؤلاء اليتامى الفرسان
الثوارجية.

أيها الموت الرحيم عجل..
يالنّي من عاشق سيء الحظ.
ويا لها من تخريبية..

لن تختلف بروفات النهاية في الواقع في حرصها على بناء أوضح لمال الحكاية وفك ملغزها وغموضها، فنصننا الروائي في الحقيقة لا ينحى منحى شاعري ملغز وإنما يسعى بما أوتي من طاقة رمزية ومرجعية نصية وتداولية إلى تقريب النص من استنطاق مآلات ممكنة للفضاء المرجعي للسرد الذي يحيل إليه فضاؤه التخيلي؛ فانطلاقاً من الوثيقة 2، يشرع الروائي في التفكير في مخرج مناسب للحكي، الذي سيستند إلى شخصية الجازية كمحرك مركزي للموضوع القيمة؛ المتمثل في بناء سيناريوهات نهاية الجنرال ذياب الرغي؛ الذي يبشر العنوان بأنه جنرال مرهق تعب من الحروب وتعبت الحروب منه؛ ولهذا واضح أن متن الرواية لن يكون إلا وصلة سردية تربط بين احتمالات جدّ محدودة بل ومحتومة لجنرال منهك..

من الوثيقة 2، إذن، تظهر الجازية برميتها المفصوحة كمقررة لنهاية الطاغية على يد اليتامى الذين سيتولون مصيرهم بأيديهم، هي التي لن ترضى بعرض ذياب الرخيص وستختار الموت كتمن لحيثها ولانعتاق الأجيال اللاحقة:

"لن أذهب، يا حضرة الجنرال ذياب، حتى أقتلك أو تقتلني كما قتلت غدرا، زعماء "الامبراطورية" حسن وأبي زيد وغيرهم. ويتمت أبناءهم. ولكن لست خائفة منك فان قتلني، فذاك أجلي. ولكن ثق أن نهايتك ستكون على أيدي هؤلاء اليتامى الفرسان اليافعين... وهاهي فرصتهم تحين، ودون شك هي نهاية أسطورتك ونهاية أسطورة جيشك، ونهاية "امراطوريك" الورقية والوهمية ونهاية عهديات ظلمك وطغيانك وجبروتك. وبداية عصر جديد. لأجيال جديدة.. تستحق أن تعيش حياتها كما تريد وليس كما يفرض عليها"

هنا يقرّر قَرور أن تكون قفلة* نصّه واضحة ومفصوحة، ومتوائمة بشكل واضح وبنية العنوان التي أقرّها في "الوثيقة 2":

"الجنرال"

* مصطلح موسيقي؛ يشير عادة للمقطع النهائي من جملة موسيقية.

التخرية الرسمية لحضرة الجنرال ذياب الزغي كما رواها الروائي غارسيا ماركيز

فثمة تخرية على كل حال، بمقتلة ما بيد "الجنرال"، أو بيد "الجازية"، أو يد "اليتامى"، لا خلاص تراه نوايا .
مسوّدات . الروائي كمال قرور حتى هذه اللحظة، غير مقتلة بشكل أو بآخر..

ويبدو أنّ غياب أي اشتغال على القفلة في الوثيقة 3 جدّ مريب، ممّا يجعلنا نتشكك في ترتيبها الكرونولوجي،
الذي قد لا يتوافق منطقيا مع ما أقرّه كمال قرور من حيث أنّ بداية الاشتغال على تيمة النهاية الدمويّة تبرز
بشكل ظاهر في الوثيقة 2، وتغيّب في الوثيقة 3؛ التي يتمظهر فيها العنوان في صيغة مخفّفة نسبيا، غير واضحة
النزوع إلى الدموية، فحتّى وهي تخرية تبقى سيرة عطرة !!

"التخرية"

السيرة العطرة لحضرة الجنرال ذياب الزغي

ويبقى هذا استنتاجا يعوز بنويّا إلى تمحيص، وتداوليا إلى مراجعة للكاتب ولما تبقي من ملفّاته الجينيّة التي قد
تمنحنا مزيد التوضيح، لكننا في هذا المقام نكتفي بمعاينة ما هو متوافر لدينا من وثائق مؤرّخة.

ومع ذلك تبدو الوثيقة 2 المؤرّخة ب :

كتبت بين : 2014/2012

نقحت يومي : 02/01 جانفي 2015

ألصق تاريخيا بالوثيقة 04 التي أرّخت ب :

كتبت بين : 2014/2012

نقحت يومي : 02/01 جانفي 2015

يعني بنفس التاريخ مع اختلاف دقيق في هذه الملاحظة :

نسخة تجريبية 2015

عبارة مكتوبة في متن المسودة: الوثيقة رقم 2

نسخة أصلية تجريبية 2015 بعد التنقيح 2015/02/10

عبارة مكتوبة في متن المسودة: الوثيقة رقم 4

هنا يبدو استنتاجنا أمتن بالتصاق الوثيقة 2 منطقياً بالوثيقة 4، خاصة وأن قفلة الوثيقة 4 تدعم دموية النهاية
ببنية جديدة :

"أيها الفرسان اليتامى الأطهار الأبرار..الجنرال ذياب جبار وغدار، وحتى وهو في أرذل العمر، لا يؤمن، اصطفوا
كما علمتكم ودرتكم، صفا واحدا، واطعنوه طعنة فارس واحد، طعنة نجلاء ازهقوا روحه، وتخلصوا من شره
وطغيانه. لتضمنوا مستقبلكم، والقتلكم واحدا واحدا".

أه..يا الجازية..يا حبيبي..الآن فقط أتفهم معاناة سيويه عاشق النحو، وهو على فراش الموت وحمى "حتى" تتجتاح
جسمه وتصل إلى حلقه.

تحسست مسدسي الملقم بالرصاص الوحيدة، التي إدخرتها لوقت الشدة. هدية "أفوقاي" التي رفضت
استعمالها طيلة حياتي، وفاء للسيف الذي صنع مجدي، وأعلى مقامي، ومكنني من الأعداء ثم المنافسين، ثم
الخونة، المشاغبين المتمردين.

ولكني لم أكن أعرف أنني سأستعمله ضد قناعتني وضد من أحب. وضد الجازية حبيبي.

قالت: أخيراً يعجز حرفك عن حمل سيفك، وتلجأ إلى البارود الذي رفضت استعماله طيلة حياتك، وتسببت في
تأخر شعبك قرناً كاملاً. ارضاء لانانيتك ونزواتك، يمكنك أن تطلق رصاصتك الأولى والأخيرة على الجازية، على
حباك الكاذب المتوهم. أنت تحب نفسك و لا تحبني يا ذياب. مادمت جينت، ولم تطلقها على رأسك. كما يفعل
الديكتاتوريون الشجعان، ومادمت غير قادر على قتل كل هؤلاء اليتامى المدججين بالأسلحة الأتوماتيكية
والرشاشة الفتاكة، ولكنهم سيقتلونك بسلاحك.

في لحظة غضب وعجز وجبن أطلقت الرصاصة، على رأس الجازية.. حبيتي.. فسقطت على الأرض
مضرجة بدمها، ودفعت الكرسي المتحرك نحوها، لأحضنها وأبكيها وأندبها. وكانت سيوف اليتامى الأبطال، مصوبة
نحوي تخترق جسدي. وهم يصرخون بصوت واحد:

أيها الجنرال العنيد: ارحل ارحل ارحل..

اكتب ياماركيز العزيز.. اكتب..

ما أروع الموت، في حضن الجازية،

بسيوف هؤلاء اليتامى الفرسان الثوارجية.

يالها من تخريبية.."

واضح مدى سيطرة الخطاب الدموي وتداوله على ألسنة شخصيات وفواعل متعارضة في الأصل، فالجازية تبشّر
وتهدد بالقتل وذياب ينتهي إلى قتل الجازية كحل جبان أو لا بدّ منه، والفرسان ينتهون إلى قتل ذياب بسلاحه ..
ثمّة تواطؤ جماعي في الاستناد إلى عامل مساعد واحد بالتعبير السيميائي وهو عامل: القتل والدموية.. وفي النهاية
يشترك كل الفواعل في إنجاز البرنامج السردي للحكاية :

"التخريبية"

إنها إشاعة للخراب متفق عليها من جماعة لم تجد طريقة أخرى لإنهاء الحكاية غير الإفناء...

ويبدو العنوان الذي انتهى إليه قرور في الوثيقة 04 متجانسا والفغلة التي بناها من حيث إسناد التخريبية
للجنرال الذي أقفل اللعبة ولم يترك من خطة للقوم غير المقتلة:

"تخريبية حضرة الجنرال"

السيرة الرسمية لحضرة الجنرال ذياب الزغي

كما رواها الروائي غابريال غارسيا ماركيز"

فتصديره للعنوان بتركيب "تخريبية حضرة الجنرال" متشاكل وبنية النهاية في الوثيقة ذاتها، التي أسند فيها قتل
الجازية للذياب الذي سبق وهددته هي بالقتل وبشرته باقتراب أجله في الوثيقة 02.

واضح إذن مدى ثبات كمال قُرور في إرادة تصعيد نبرة جرأة النص باستطالة العنوان في شكل يتساند وخيارات القفلة التي يبدو أنها ستلتقي في لون واحد..

ولن تأتي في الواقع الوثيقة 05، أي النسخة المطبوعة إلا بإضافة بلاغية تزيد من وقع الهزائمية التي ينتهي إليها فواعل النص:

"أيها الموت الرحيم عجل.."

يالي من عاشق سيء الخط.

ويالها من تخريبية.."

التي سيقابلها قُرور بعنوان مستفيض في التبشير بالنكسة، ويبرز مستفز لأبطالها:

"تعبت من الحروب و تعبت الحروب مني"

حضرة الجنرال

التخرية الرسمية للقائد المفدى ذياب الزغيبي كما رواها غارسيا ماركيز"

ومعنى هذا أننا لو أردنا أن نرسم خطأ بياناً لمدى ارتباك الروائي في توجيه خطابه نحو تصادمية أكبر ومقام الحكيم نجد أنه اتخذ مسارا ثابتا ومتصاعدا من الوثيقة 01 إلى غاية الوثيقة 05، والتي طرحت للسوق في سياق سياسي جزائري محتدم تغطي وتطغى فيه مفردة "الجنرال" على الصفحات الأولى لكبريات الجرائد * خلاصة:

بين بروفات البداية و بروفات النهاية ... واضح إذن مدى التجانس الواقع، وواضح مدى اعتماد كمال قُرور على صيغة العنوان الحربي (Le titre littéral) الذي يجيل مباشرة لتييمات السرد بل و إلى مآلاته، حتى وهو يستند إلى قيم عنوانية أخرى تلميحية و إغرائية...

نحن هنا في مقام كتابة تتجراً على الواقع بمحاكاته واستفزاز انغلاقاته، بانفتاحات نصية تفرض وتقحم خارج النص في عملية قراءة استشرافية ومن ثم إعادة قراءة لممكناته وفق مسلمات نصية بدت صارمة وناصعة وقاصمة...

* صيف 2015 .

ونكون بذلك قد قارنا بنويًا كيف تمظهر ثبات "كمال قرّور" حتّى في مسوّداته على مقصدية توجيه نصّه لاستنطاق ردّة فعل الخارج، إنه اشتغال متعمّد وواع ومتفاعل مع مقام الحكّي.

وتبقى دراساتنا هذه في مقام مسوّدة دراسة جينيّة للملف الجيني الذي بحورتنا، وقد حاولنا أن نقارب من خلالها طريقة بناء نصّ "كمال قرّور" الهرميّة التي اعتمدت منطقًا ومدًا متصاعدا يسير نحو ترسيخ فكرة وبنية الفناء الحتمي لأمراطهورية الجنرال.